الجمع من الفريقين وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين ثم انفل

عنهم هزيما وحث مركب النجاء حرصا على النجاة فعبر الى بعض الاطراف

وقد لحق به من اخطأتهم ظبات السيوف وحلق الاسار من اصحابه

فانحدر بهم الى ابي علي متعلقا في حبله ومنخرطا في سلكه ولائذا منه

مستنذرا بانتحال طاعته ووافق ابو علي منه منية التي كانت تخطبها

على الدهر باقتراحه ويعدها على الحادثات احد سلاحه واستقبله

باهل عسكره على اتم اجلال واعظام واعم اكبار واكرام واحسن ترتيب

وترحيب وابشر وتقريب وترحيب وتشمم بمكانه روح الغنى عن الرضى

فصرف اليه ما كان اعده له من الهدايا مستصحبا للحفاء والحدب

ومصرحا بالتبري والانحراف وتخالفا على الوفاء والصفاء والتظاهر

على الاعداء ونهضا الى نيسابور للاستعداد وتخمير الراي في حسم الفساد

ولما تبين الرضى من صلاحهما له دبّر في الاستعداء عليهما والانتصاف

منهما بمن يشتد باسه ويجدّ في اللقاء مراسه فوقف به التدبير

على الامير ابي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من امارة الخير باعتكافه

على غزو الهند احتسابا لثواب الله وادخار الكريم القربة الى الله فارسل

اليه ابا نصر احمد بن محمد الفارسي النائب عنه ببابه وكتب على يده يذكر

ما اعياه من الداء بمكان موليته ابي علي وفايق وخطبهما على دولته

وقصدهما اياه في نفسه ومملكته واستنانهما عليه بارتفاعات

خورته غير راجعين الى حشمته ولا راعين لحق نعمته ولا متمسكين

من الحياء بعصمته وان الذي قد دهمه من امرها قد سدّ عليه

وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا من جهته ويرجوه من معونته

والطف القول في استنجاده وتطميعه في جميل ما يتكلفه من نصرته

من نصرة اوليائه بفرط قوته وغنائه فصادف وصول الكتاب
والرسول نفسا منه مرتاحة لاجابته منشرحة لطاعته وتوافقه
الى مقام الجمال بمظاهرته بارتهان رضاه وموافقته وبادر بالعبور
بما وراء النهر للقيا الرضى ومشاهدته واستماع المقصود من رأيه
واشارته ونهض الرضى الى ناحية كش مخيما بها على موعده ووصل
اليه الامير ابو منصور سبكتكين فلتقيا هناك على احسن ما سمع به
في مثله من تسوية المواكب وتعبية الخيول والمقانب وقد كان الامير
سبكتكين استعفى بشيبته عن تنزل الخدمة وملتزم الارض
على رسم الطاعة فاعفى عنه اكتفاء بصدق العناية والرعاية منه
حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف واصابت عيناه
صفحة وجه الرضى اذعجته روعة الملك وابهة العز للنزول

والتبرع بما كان يستغنى قبل الوصول فتلقاه الرضى باتم الاكرام والاعظام

ودعاية الحق والامام وجرى مشهد لم يسمع بمثله فى الفخامة وتباشر

الخاصة والعامة وامر الرضى باقامة ما وجب اقامته له من صنوف

الانزال واتباع ذلك بما يصلح لاتباعه من طبقات الرجال وساله

بعد ذلك ان يفرغ له نفسه وينصرف الى قصد ابى على وفائق وكفاية

شرهما عزوه فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة

واستاذنه فى الانكفاء الى وطنه ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم

منتشر العُدّة ثم يواجه الخطب بجد جديد وحد حديد وباس

شديد ورجال يموجون فى لجاج من حديد فاذن له وصرفه ورآه

وامر له من الخلع الفاخرة والاجنبة الباهرة بما ضاهى جلالة

قدرة واكد الثقة لصادق وعده ورجع كُلُّ منهما الى مكانه واقبل

واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه وورد
على ابي علي من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير وسدّ عليه باب
التقديم والتاخير وجعل الراي شورى بين اصحابه فيما كثر
له الامر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته
وموادّته ومعاهدته وتاثل حال في جانبه يُرجّى ليوم العثار
ونائبات الليل والنهار فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين
بما اعرض من لحق خراسان وافرط الصاحب اسمعيل بن عبّاد
بمثل ذلك طمعًا في حصول الغرض المقصود من الاتحاد على يده
لحسن سفارته ووساطته وحدثني ابو جعفر انه دخل على الصاحب
فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له عن لسان صاحبه مثلنا
في حمل هذه النافقة الطفيفة الى الصاحب الجليل مثل من يستبضع

التمر الى هجر فقال لصاحب متنقل التمر من مدينة الرسول عليه السلام
الى هجر لا للحاجة اليه ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال
وتوكيد اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة
ودرت المكاتبة واستحكمت المصادقة وقد كان مامون بن
محمد صاحب الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه قد احسنا
التقرب الى الرضى ايام المنابذة الى آمل بما ساعدهما الوقت عليه
من مال ورجال فعرف ذلك لهما واحب ان لحريهما عما اخذنا
به وقدماه من قدم الطاعة له فجعل لنا رسم مامون بن محمد
وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل واحد منهما على عمله وبعث
بالمنشور على الرسم في مثله فانهض كل واحد منهما بضبط عمله وتدبير
ما اصفي به فافرح لمامون بن محمد عن نسا الحال في المودة بينهما قديمة

قديمة واسباب في الاتحاد وكيدة ووقع اباعبد الله خوارزمشاه
عن ابيورد اعتداد بابيها ولانه اخيه ابي ابراهيم وانه لا يمكنه
النزول عنهما الا بعوض له منها وامر بطرد اصحابه عنها وشتتهم ودمّرها
فاستزد لك خوارزمشاه في نفسه الى ان تمكن من الفرصة فاستشفى
منه على ما سنشرحه عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك
رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد
جمع واحتشد واستمد واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار
وقعد وساق امامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته
ومقاماته وعبر الرضى الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحارث
الفريغوني واليها واقام بها الى ان وصل اليه الامير سبكتكين
ولحق به الشار ومن جرى مجراه من زعماء البلاد في طبقات

الاخبار فاجتمع سواد شرفت بهم المسالك والمذاهب واجدبت

عليهم المراتع والمشارب ونهض ابو علي وفايق من نيسابور الى هراة

وبها ايلمنكو غلامه وصاحب جيشه مخيّم بجانبها فغاعنها وطرسيا

دونها فضوى اليه من كان مقيما من جهته بمرو والرود وباذغيس

وغيرهما اخذا بالحيطة واحترازا من الغرة وسارا الرضى بالامير

سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين

يذكر الحال التي كانت بينه وبين ابيه من المواتات المهذبة والحرمات

الوكيدة وما استمرّ عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد والاشتراك

والاستنتاك ويساله يتوسط الامر بينه وبين الرّضى على ما يجلو

حرارة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد شاردا اناته ويمسح بجانب

مرضاته متحكما عليه بما يستصوبه في حسم الشر وتسكين الدهماء

الدهماء وحقن الدماء وتاليف الاهواء فاحسن الامير سبكتكين
الاصغاء الى ما سال وسد النطاق لما التمس واسال بهذه الى الاستصلاح
ووضع السلاح على عادته فى كراهة الفتن واماتة الاحقاد والاحن
وسال الوصى فى مجالس عدة شفاها ووسالة ان ياخذ باذن الله فى العفو
والغفران واقاله العثرة بفضل البر والاحسان ايثارا للذى هو اقرب
للتقوى واحمد فى البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال نفرته واشتغال
جمرته حتى سمح بالاجابة واسجح بالعفو والاقالة على ان نفتدي
من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم يوديها فى ثلثة
انجم على رسم الموافقات فكتب الامير سبكتكين يذكر ما استتم من
الصلح على يده وانتظم من عقد الصلاح لسعيه وجهده وكدّه
وتبشا وداصحاب ابى على ووجوه قواده فى اقسام هذا المال

منهم معونة له على ما لزمه من الغرامة واغتناما لما يلوحون عليه به
من السلامة فصادف ذلك جدة من تشابههم ونزقا من احداثهم
وذهابا منهم بانفسهم عن الاذعان للمكافة والرضا بالصلح الجامع
لمصالح الكافة وتاد من ذوبان الاتراك والاكراد وسرعان الصعاليك
طايفة الى معسكر الامير سبكتكين فاختلسوا منه غلاما له كان
على امر قبلته وقتلوه في عدة ممن اصابوا غرتهم وانضاف الى
ذلك ان رسول الامير سبكتكين لما كرر وراءه جواب ملتمسه
وافق ابا الفضل الزيادي احد اسباب ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا
والمخارم فقال له هيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك
ما ينطق الا في محال ما لجي باحلاس الصلح واثباته ما دامت هذه
العيون حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها يعني به قول

قول القائل شعر كذبتم وبيت الله لا ناخذونه : مراغمة ما دام

للسيف قايم . فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط

غضبا وقضى من ادبار القوم عجبا . وعزم على المناجزة واستخار الله

فى صدق المجاهدة . وارسل الى ابي على ان خذ فى اهبة سيفك

وسنانك فقد جئتك بما لا يغنيك منه غير حد الحسام وشبا الحسام

وزحف الى الفضاء الرحب بقرونه يوم الاربعاء من شهر رمضان سنه

اربع وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول معانت ومناسر وعبى الجيوش

ميامن ومياسر وشحن الصفوف بفيلته المجففة كانها شواهق

اعلام اوطوادق غمام ووقف الرضى به وبالامير محمود ولده

فى القلب مشحونا بكماة الرجال ومحفوفا بكفاة الابطال شعر

من كل اروع يرتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد يكاد حين

تلا في القرن من حبق قبل السنان على جوبانه برد وساد محبلت الارض

سايرة والجبال مايرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة وثار من

وقع السنابك نقع اوهم كسوف النهار الشامس او عود ظلام

الليل الدامس وقد كان ابو علي رتب جيوشه اسوة للامير سبكتكين

فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القاسم بن سيمجور وايلمنكو في الميسرة

وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء والحفيظة من ثقاته فكانوا

على الحفيظة جبش الطواويس من وسيض الحديد ولمعان الحمر والبيض

واشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتدكلات الافاق

حتى اذا ندانت الخطى بين الفريقين بدءات الفايقية بالحملة على ميسرة

الوصي فبدد وانظامهم وذعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القاسم

بن سيمجور بمثلها على من قابله وصنع صنيع الاخوين وحمل دارا بن شمس المعالي

بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير من قلب ابو علي وظنوه يسعى لشرف
المقام او رعاية حق الذمام حتى اذا بلغ بين الصفين وقع طرف بترسه
واقبل على موقف الامير الرضي بوجهه فاستامن اليه ووقف للقتال
بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما احفره من الذمة وقطعه
من العصمة اشفاقا من مواطاة اضرابه اياه على مثل فعله وعندها
حمل الامير محمود على قلب ابي علي في سواد فدح ثقله كاهل الارض
وسد لقسطله مناكب الافق فلم يلبث احد من اصحاب ابي علي
لكفاح او مدافعة بسلاح بل انفضوا عن مواقفهم انفضاض عقد
خانه النظام وانسل منه التود والتوام وجعلوها هزيمة انكبت
بها الاعلام وغصت لجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير
محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس

سمّادعاقا فلم يفته منه الا اسرعان تلك الجموع ومن خفف

عن ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدى

ببعضها على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها والنفوس بدمائها

ووضعت الحرب تلك الاوزار عن ابنائها وسار ابو علي بالفل من اشياعه

الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسير وريش الحسير استعدادا للانحياد

عنها قبل رهق اللحاق وموقف التلاق وخيم الرضي والامير ناصر سبكتكين

ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركابهم وتوفرت على الاوليائي

دعاءهم ولقب الامير الرضي الامير سبكتكين بناصر الدين والدولة

ملكه السلطان محمودا بسيف الدوله وقلده قيادة الجيوش بنيسابور مكان

ابي علي به وسار الى نيسابور في بهيته استشعرت النفوس مهابته وملات

قلوب الاعادي كآبته ودجال كالقروم المصاعب وافيال كالاطواد سود

كالاسود مخطومة بالاساود وفي ذلك يقول ابو الفتح علي بن محمد

البستي لسيف الدوله الشفت اسود ابناها محمّد ه النظام

سما وحمى بني حام وسام فليس كمثله حام وحام وسيجري

ذكره انفالسيف الدوله الى ان افاء الله الملك منه الى مظنة

الاستحقاق وشهرة بلقب اليمين في كور الافاق وفي بعده الوقعة

يقول ابو عامر قل للحوادث غضي بطرف خاينه فقد اضاء

لسيف الدولة الملك لصاحب الجيش محمود العلى بذحت اركان

ملك عليها عبرها طلل تاج الزمان وسيف الملك عاصمه

وخاتم الملك في يمناه نشتغل في ناحيه فر في درعه اسد

في جوده امل في باسه اجل تاهت به الحل واختال السرير به

واقبلت صاغه سيعى بها الدول دولتها لو صافح الشمس من

غزدنت سنلا اذ خاطب النجم لبنى صوته زحل داى خراسان
منه هيبة فهرت حتى تزعزع منها السهل والجبل اضحت
دعبته والله يكلوء حام ملكه مضروبا به للنثل لماطغى آل سمجور
رئيسهم بالجبل شعنا عليها الصيد والاسل حتى اذا ما التقى
الجمعان لم يقعوا الا واضحوا كعاد ما لهم ظلل والهند والغور قد شابت
شعورهم لما راوا منك من باس وقد فتلوا الله درك يا محمود
من ملك اذا النفوس شمانت والوغى دجل ادويت سمر القنا
والبيض ضاربه وغذت وهي لاكباد العدى هبل وانت اجود
من شوبوب عادته فى اثر سارته حسها ابيل ثم ادخلوا على وجه
نيسابور ولما تسامع ابو على بدنائهم فارقها منحدرا الى جرجان
على الوثيقة التى كان اخذها على فخر الدولة فى بذل المشاركة وصدق

وصدق المساهمة حتى الم نكتب اليه بالحالة التى الجانه الى قصد ولايته

والانقطاع الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب اليه فى تقرير

حاله واستدعاء معونته بذاته ورجاله واستنجاز الصاحب فى

تنجز ما كان بعده لنفسه على الايام من بركة وصاله وبعده لها

من ثمرة وداده فامر لمال نقام سيا ومنه لوكيله وبالفى الف درهم

من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره فاقام هو وفايق حتى انحسر

عن غرة الربيع قناع الشتاء وانكشف عن الزمهرير افاق السماء

وقد كان الرضى انحرف عند انحداره الامير بن سبكتكين وسيف الدوله

الى نيسابور بعبد الله بن عزيز الى طوس الحالى فاعلمه مما صوره له

من ارصادهما اياه بالمكروه على ما دعته النصيحة اليه من

مناقشتهما فى بعض الاموال والاعمال فنهض الامير سيف الدوله

محمود على اثره اظهار للبراءة واستشعاراً للطاعة واستثماماً للمحمدة

وازاحة لعارض الظنة فطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي

الليل الى مرو على عواول الطرق اشفاقاً على نفسه من عادته التضرب

فعل التهم المريب وتلقى ارضى موردو سيف الدوله باتم اقبال واسبال

وصرفه وراءه على احسن حال وانعم بال وارتحل بعقبه الى مرو لاحقاً

بوذيرع ثم منها الى بخارا حتى استقر بها على سريره وقد كان الامير سبكتكين

وسيف الدوله حين وصدد الى نيسابور فرسنا مهاد العدل ورفعا عماد

الامن تتبعا رسوماً كانت حايفة من قبل فنسخاها بيت الرافة

وحسم المخافة وارتيا د مصلحة الكافة فانسرحت الصدور واستقامت

الامور وامنت الطرق واتصلت القوافل والرفق ثم سنح للامير

ناصر الدوله سبكتكين ان ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان رهمه

برهه فسارواقام سيف الدوله نيسابور على قيادة الجيوش وزعامه
الجمهور وقد كان ابوعلى طمح الى زيادة من المال تحمل اليه معونة له على
اقامات عسكره من الري فكتب اليه ابونصر الحاجب باني عرضت
الكتاب وقررت المراد فكان من جواب فخر الدوله ان مثل الملوك
مثل الانهار العظام يصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى الناس
ملتقى عبابها ومتدفّق امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي
تغترف منها والسواقي التي تنشعب عنها ولو انا قدرنا على شئون اهل
خراسان لاستصفناها الى ما يليه من سرة الارض وواسطة
الاقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش
ابوعلى من جوابه واستشاد فايقا ووجوه قواده في تدبير الامر
بصوابه واتيانه من بابه فاختلفت اراءهم بحسب اجتهادهم

في المنثورة ودروسهم في استشفاف العواقب المستورة فاشار
بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي بها
والكتاب اليه بالطاعة ولضمان الاقامة اذ كانت تلك ولاية قد
أعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها باتيهم العساكر
وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر واذالتهم عليها مصونات
الرغائب وتغريرهم فيها بكريمات النفوس والحرائب وقد حصلت له
عفوا وصفوا ونفحت عليه رهوا وسهوا وبيع العين بالضماد محال
واقامة النقد بالنسيء ضلال واشار فارق مشاهدة الامير
سيف الدوله ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع
منه وانخذال ابيه سبكتكين به ولمخالفة هواء جرجان طباع
عسكرهم ونكايته فيهم بمقدار ما تنكرهم الفصل وتحيذام

ويخيدم عليهم الحر فوافق هذا الراي جمهور العسكر لحرصهم على الوطن
ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراي وتطابقوا على الانكفا
واضطروا ابا على الى مساعدتهم واتباع اراداتهم وعند ذلك ورد
الخبر بمضى الصاحب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معينًا بمصالح
ابي على والحسين اثاره والاشارة على فخر الدوله باغتنام جواره و
معاونته على ثاره فكره الى ابي على بعينه فضل المقام واغراه بتعجيل
الانتقال والانتقام ولما استاثر الله بالصاحب كثر شعراء في مراثيه
فمنها قول ابي محمد الخازن الاصفهاني شعر يا كافي الملك ما وفيت
حقك من مدح وان طال تمجيد وتابين فت الصفات فما يرثيك
من احد الا ونوسه اياك لهجين عليك العطايا والصلوات كما
بكى عليك الرعايا والسلاطين تمام السعاة وكان الخوف اقعدهم

واستنقطوا بعد ما نام المداعين لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا

مضى سليمان فانحل الشياطين ومنها قول ابي سعيد الرستمي لا صفهاني

شعر ابعد ابن عباد ابهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد الى الله

الا ان يوتا بموته فنا لهما حتى المعاد معاد ومنها قول ابي عيسى المنجم

شعر والله والله ما افلحتم ابدا بعد الوزير بن عباد بن عباس

ان كان منكم وزير فاقطعوا ودى او كان منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي وقد اختار بابه بعد موته شعر ايها الباب

لم اراك كئيبا اين ذاك الحجاب والحجاب فل بدا رقبة وغير

احتشام فات مولاي فاعتراك اكتئاب مات من كان يفزع الدهر

منه فهو الان في التراب تراب ومنها قول ابي الفتح البستي الكاتب

شعر مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الارض فيض غمامه

غمامه ففقدناه لما تم واعتم بالعلى كذاك خسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابي منصور الثعالبي شعر الا يا صاحب الدنيا وعين السودد

اليمنى اما استحيي ابو يحيى لفيض العالم الكبرى لئن ختمت بك الدنيا

فقد فتحت لك الاخرى ورحل ابو علي من جرجان على سمت

جوين غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثماية وتقدمه

فايق على طريق اسفراين حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه

واختلط به وسارا مسير المستعدين للحرب المجدين في الطعن

والضرب وبلغ سيف الدوله خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين

بانبائهما وبرز الى ظاهر البلد في خف من العدد وختيم به على انتظار

المدد واعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول الامداد فاضرم

عليهما نارها وعثر بنفسه وخاصيته اوارها من حيث ترجل

راد الضحى الى ان القت ذكاء يمينها فى كافر فتعصفرت ارض

الوقائع بدماء القتلى واضمحلت بسائم القبول رجالا كانوا اركانا

للصفوف عند استحرار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف

فهم اصحاب ابى على بالانجزال حينا عن النزال ثم تداعوا بالمناص

طلبا للخلاص فكانت جملة واقعها الفشل وانحاز سيف الدولة

بمعظم جيوشه الى مناخ ابيه الامير سبكتكين فى امان

من لباس الظلام ارصادا للخصوم بيوم الكرور على الناس واسلافهم

لعبيد الاقدار وتخلف عند ذلك عنه ما اعياه استصحابه

من الاثقال وفيلة القتال وعجز عن خدمة ركابه طائفة من رجاله

الهنود وساير افناء الجنود وعند ذلك قد كتب ابى على

شعلة اطمعت فى استقلاله وعوده الى المعهود من حاله

من حاله لكن الله تعالى قضاها سببا لاحتناكه واستيصاله

واستمر عليه عند الدامه بنيسابور ان ينبع الاثر الامير سبكتكين

وسيف الدوله معجلا لهما عن عدة الارتياش والانتعاش

وقوة الاستنجاد والاستعداد فارتزبها فعل من كلت بصيرته و

انحلت مريرته وعمى عليه قصده ونبى اليه حده واخذ

يعتل بصفوره يده وخلو خزانته واشفاقه من خذلان عسكره

ايام ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ تكتب الى بخارا

معتذرا عن خيانته ومتنصلا من بادرته ومستقيلا عارض

عثرته ومستميحا قبول عذرته وارسل الى الامير سبكتكين

رسالة الواهى جلده المتناهى كمده المتخاذل لسانه ويده لحيل الكشفة

التى استمرت بالامير سيف الدوله على مايق وسائر عسكره لاكرامهم

اباه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد الى مراده
سبيلا اوفى ذرى اختياره وهواه مرادا مقبلا لما التفت كفت خراسان
ما عاش تفاديا عن وحشته وتحرزا عن كراهته وساله ان يهب
له ناره ويستوهب الرضى خطاءه وعثاره فلم تزده رسالته
الا زيادة على التطميع فى اعتناله والتلبية على الخزاله والنضرة على
اقتناصه والايمان من قوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين
كتبه الى من تفرق عنه فى ديار مملكته واستنجاهم الى حضرته
واطراف ولايته من قواده واحفاده فى استنهاضهم الى مخيمه
وانهض ابا النصر بن ابى زيد الى الامير خلف بن احمد والى سجستان
لحسمه اللحاق به وكتب الى والى الجوزجان ابى الحارث الفريغونى
بمثله فطالع حضرة الرضى باستعداده وانتظار ما يرد عليه من رسالته

مثاله فكتب الى القواد بنواحى خراسان بالبدار اليه وتتابعت
الامداد من كل جانب عليه فصار الامير ابو منصور سبكتكين
فى جيوش لو دار مو الجو لاستتر او طيار ته او ورد البحر لا بد واقرارتهم
وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل صادفت به مذانبه
وقد كان فائق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا
ويطمعه فى الاخبار الدهماء فتلقى وجهه بمثاله وكال عليه
بمثل مكياله وتكفاء امير ك الطوسى احد الامراء النادورية لابى
على بين الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة تقدم رجلا للورود
ويوخر اخرى للقعود فارسل ابو على ابا القاسم الفقيه رسولا اليهما
للاستمالة وتحذيرهما قدم الضد له فنهض اليهما واخذ له الميثاق
عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو على وتلقاه

فايق وامیرك الطوسی بناحیة طایوان فاتفقت کلمتهم علی التظاهر

والتضافر وخلصت نیاتهم فی التساعد والتوافر واختاروا معسکر

القرب انه رخ مخیموا به وقد کان ابو القاسم اخو ابی علی قد عتب

علیه لعدوله لولایة هراة وثمرات اعمالها عنه الی ایلمنکو وعند مه

وتقصیره به فیما کان تخطبه وتقترحه علیه من امثالها علی وفائه

له وولائه ایاه والتزامه حکم المشارکة له فی کل ما نابه وعراه نقاعس

عنه عند نهضته من نیسابور واعتلا الاعلیه سفینة من اشغاله

حتی اذا انفسخت مدة ارتحاله آیسه من وصوله ووصاله احوج ما کان

الی مراماته وتصاله فزاد ذلك فی انخزاله وکسوف باله وحث الامیر

سبکتکین تلك الخیول فی قصد ابی علی حتی اناخ بطوس مقابلا لعسکره

وذلك لیوم السبت بعشر بقین من جمادی الاخرة سنة خمس وثلثین

وثلثين وثلثمائه فثار فتيان الخيول وشبان الحجوه الى النظار ذوا
التجالد فبقوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل مسافة لصادهم
عادوا الى مضاربهم وتشاوروا بوجوه قوادهم في معاودة الحرب
فاشار عليه اميرك الطوسي وذو الحصافة منهم بتحلل شعب الجبل
والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة ارجائه وعزازه مانه
وسعة العلوفة من ورائه ومصادمته الحرب على اعتزاء الرجالة الطوسية
باطراف عسكره مبيتين وحاربين ومغربين وعائبين الى ان يدركه
الملل ويلحقه الفشل وتتفرق عنه الحشر فغدها سبكتكين
يباحرونه على بصيرة وقوة صريمة واستماحه حيرة فتعجب من سمع
هذا الراى من احداث العسكر وقالوا ما لنا نطاول القوم وندافع الوقت
لا يعرف الناس انا نميل عن المصاولة الى المطاولة وعن المسادة

الى الصابرة فيها نحن نسافيهم المنية ونصبحهم كاسا دويه فانقض
عليهم التدبير وصار المامور هو الامير ودونت كلام العسكرين عند انفلاق
الصبح الى الاستعداد للقاء والاحتشاد لحركة الهيجاء واقبلوا على تسوية
الصفوف مشحونة بالالوف كاجام الليوث من ذبل القنا والسيوف
وحصل الامير سبكتكين موقف عسكره بنجب قلبه فحكت تحت
التجافيف اطوادا فادغه وامواجا متدافعة ودنا الفريقان بعضهم
على بعض فلم يرع ميسرة ابي على الا دهجنا دعليهم من وراء قرنة فرصتهم
ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة في الطم والرم والسيل
المدلهم فتزلزلت الموت اقدامهم وصلت احلامهم وافهامهم ورأوا
ان قلب ابي على قد حمل على قلب الامير سبكتكين فساعد وهم
على حملهم تفاديا عن ايقاع سيف الدولة بهم فمزقوا صفوفهم ونقضوا

ونفضوا عن الزحام موقفه نوقف لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به
والتف عليه من خواص غلمانه ورد حملتهم في وجوههم فارتدوا على
ادبارهم وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين
بين العسكرين واخذتهم السيوف من كلا الجانبين وتادى ام خلط
البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق وحطم
الدبابيس ما بين الطلى والعواتق وظلت خراطيم الفيول تستلب
الفرسان عن صهوات الخيول وتلحق القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة
من الايقاع بهم والاثخان فيهم والانتقام منهم وصب السيوف عليهم
مبلغا لو سمع به رستم في زمانه لرهنه خدمة عنانه وهذبته اداب
سيفه وسنانه وفات المحصورون بقايا المهج تحت غواشي الرهج
وبرزوا بالارواح من بين مشتجر الرماح فانجلت المعركة عن القتلى

مضرجين فى الدماء وجرحى مطرحين بالعراء واسرى السيف من الفلّ
ملطخين بالبيداء جمع اسير

وركب سيف الدولة اكتاف الفلّ فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل
منهزمين من القصور دخول

وعمى عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة الماسورين
المغارة سوراخ در كوه

ابو على بن نغير الحاجب وبكتكين الفرغانى وارسلان بلك وابو على بن

نوشتكين وماماشاذ بن سيحان وروز الجيلى ولشكرستان بن ابى جعفر

الديلمى وامثالهم وهولاء اعيان ابو على ووجوه قواده ووجوه اركانه

واعضاده وسار ابو على وفائق بين مهاوى تلك الجبال ومصاعد

تلك القلال الى ان اناخا بقلعة كلات وهى التى تلحق الرياح بين تلاعها

وتزل الابصار دون رواسيها وشعافها فاضا فهما بها اسبوعا سيّ الطوى

الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من اجتمع ممن تفرّق

وكان ابو على قد سيّرت القبيلة التى قبض عليها بباب نيسابور الى كلات

كلانت فى جملة ضيعة فكتب ابو على بن نصر الحاجب وسائر الامراء
يذكرون له ان الامير سبكتكين استدعاهم ومناهم ووصلهم وحباهم
ووعدهم الافراج عنهم متى ردت تلك القبلة الى مرابط امثالها من
مناخه وسالوه ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم ابو على
الى اميرك وبربها والافراج عنها ونهض هو ونايق على سمت ابيورد
مصحرين عن تلك المضايق فبعث اميرك تلك الفيول الى الامير سبكتكين
فكتب اليه بزينه انه المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فى بابها فاستعمر
بذلك منبته واحبط على ابى على قرشيه وفى ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح
البستى الكاتب شعر الم تر ما اتاه ابو على وكنت اراه ذالت وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقلعون ابا قبيس وصير
طوس معقله فاضحى عليه طوس اشام من طويس وسار ابو على

ورايق الى سواد ابيورد على ان نقبضد كورة نسا فنسح لفايق ان يعدل

سرخس لواى راه فخذل ابو على فى المكان وسار بمن معه من الغلمان

فلما سمع ابو على بنبا نه ارسل اليه باني غير مفارقك على انه حال تصرفت

بنا من احداث واحضاب واحزان واسهال وان ركوب هذا الطريق

كان على ما سنح لنا بادى الراى من الصواب واذ قد بذلك فى التدبير

فانى تابع لرايك وها انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسار الى

سرخس ومنها الى مرو وحين نشا مع الامير سبكتكين لحنين عدوهما

من سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدوله

على ما قوصنه من اعمال نيسابور وضامنا له كفاية امرهما فقصدا وطاردهما

بمرو ثم احترقا مفازة آمل الى الشط مجتنبين لحدونة المفازة وصعوبة

المسافة واسنداد المسالك واستدام المناهل والقيا بها عصا القرار

القراد وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وفايق ابا سعيد عبد

ضمانه
الرحمن بن احمد الفقيه وزيريهما الى بخارا في استعتاب الرضى واستر

واستعفائه الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين محمد

بن كثير فانه صرف وراءه على وجه جميل وكتب الى ابي علي في

نف
تمنيته وتامبل ورسم له ان ينحرف الى الجرجانيه فيقيم بها الى ستنا

تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه أُمر باعتقاله ووضع

في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض المسوّمة بكتاب

الى مامون بن محمد والى الجرجانية لتقدمه بتقرير حاله وذكر ما التشى

من اثري في بابه فامتعض فايق لما قوبل به رسوله وعمد على ان

بعبر النهر الى ما وراءه ملتجيا الى ايلك خان ومستصرخا اياه ومستعينا

به على ما دهاه واعتاد على ابي علي بان يساعده ويجمع اليه يده

وساعده وان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق ما بينهما

في المساعدة والمرافدة والاجتماع على الاحداث باليد الواحدة

وان الذي عمسا فيه ابديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا

كان او اختيارا لا يوجب الاعفاء عن تبعاته والذهول عن تقنابت

اساته وجرايمه فاختار ابو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته

على مقاربته سر الله فيما حكم به من صدع شمله وقطع حبله

ووضع رحله شعر فليس لرحل حطه الله رافع ولبس لامر

شاءه الله دافع وافترقا عن مناخهما فاما فايق فانه عبر النهر

الى ما وراءه عادلا الى ايلك مستجيرا اباه وواصلا عروته بعراه

فانهض من بخارا على اثره بكتوزون الحاجب فتصادفا فجدود بسيف

وولى كل منهما صاحبه ظهره بعد ان ابلى في اللقاء عذره ففيله

نفيله ايالك احسن قبول و قراه احسن مقول ومفعول وضمن

له الوفاء باهله ووده الى ما استنزل عنه من عمله واما ابو علي

فاخطاء الطريق وحرم التوفيق فصاد منقلدا بما اخرجه من العصيان

نخجلا لما فاته من فرصة البر والاحسان قد كحلته يد القدر بمرو

والحيرة والسدر وعمت عليه غياهب القضاء فهو يخبط خبط

عشواء مستنسلا للمقدور ومستسلما لطوارق المحذور وانشدني

ابو حاتم الحنفي المذكر في مثل حاله لبعضهم شعرا اذا اراد الله امرا بامرئ

وكان ذا راي وعقل وبصر وحيلة يعملها في كل ما ياتي به مكروه

اسباب القدر اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من عقله سل

الشعر حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر نعم ومر ابو علي

قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ المسير به نهر اسف وهي

قرية تقابل بلدة خوارزم من الجانب الغربي فارسل اليه ابو عبد الله
خوارزمشاه من اقام له نزلا وقدم اليه عذرا ووعده العبور اليه غدا
لمشاهدته وقضاء حق وفادته وقد كمن له زهاء الفي رجل من افناء
عسكره في خمر الغياض والآجام لاغتياله جنح الظلام وحكى لي
ابو علي الخشنامي احد ثقات ابي علي وقد كان نهض فيما مضى من ايامه
رسولا من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه انه انشده ابياتا لابن
المعتز ورسم له تبليغها الى ابا علي على رسم النصيحة وهي شعر اذا امكنت
فرصة في العدى فلا تبد شغلك الا بها فان لم تلج بابها مسرعا اتاك
عدوك من بابها واياك من ندم بعدها وتاميل اخرى واني بها
قال فرويتها له وذلك قبل استيحاش ابي عبد الله منه فتقبلها منه بمنبر
ثم ذهل عنها كان لم تقرع بها قط سمعه ولم يستودعها يوما من الدهر

من الدهر ذرعه ولم يعلم انها كانت ومثا من الايام له بانتقاب

النوائب وانقفاء العواقب ولم يدر ان للافعال والاعمال جزاء يجتوبا رابها

وحيا وبطيا ومحسنا او مسيئا وعفل ليلته تلك عن الاحتراس

واقتدى بغفلته من شايعه من الناس حتى اذا انفل العيون كراها

ونفه النجوم سراها ضجت الافاق بحق الطبول وغطغطة الحبول

واحيط بالقصر الذي نزله ابو علي نزاله اوتبل المراء من استنتنز اله

فنادمن حف حوله من غلمانه للدفاع وتاوت جمرات المصاع

وحفت بنفسه الى زعيم القوم ليساله ماخطبك ولماذا حرمك

فقال ان خواوزمشاه امرك فتقرب اليه بلطف الاذعان دون

عنف الضراب والطعان فهو لفتنه اطفى وللاحه انفى وللباع

الانتقام اقصر ثم انت بالراى ابصر فبادر ابو علي الى النزول استرفه

الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت

غرة شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلثمائة فامر به الى بعض القصور

معتقدا فيه وشد الطلب على اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان

والاركان وافلت ايلنكو صاحب جيشه لمن اسبعه نحو الجرجانية

ونودى بين الافراد وخدم القواد من اقام يومه بهزار سف ابيح دمه

فتفرقوا بايدى سبا فى الاقطار كشوارد الامثال واعتقل الباقون على صغار

وخسار الى ان اذن الله فى اخلاصهم بوالى الجرجانية مامون بن محمد

وذلك انه لما سمع بنباء ابى على وسالار بكتكين نحوا زوبستاه اضطرب

قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم ارقا الى ان استتب له التدبير

عليه فرماه بعسكر جرار يستخفون مثاقل الاعمال ويخوضون مشارع

الاهوال وينفدون رواسى الجبال ويستنزلون العصم من شعف

شعف الغلاول وسار فيهم غلمان ايلينكو من خواص ابي علي برجال
قد ادغرتهم الحفايظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن فهم
يسعون النار الى النار ونفي العار ودرك الاوتار فعبروا الى كات
مدينة خوارزمشاه واحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق وناوشوا
الحرب من كل اوب ودرب وظلت تلفح وجوه رجالها جمراتها
حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصّلتهم في ربقة الاسار مقهورين
ودهروا على خوارزمشاه في قرارة بلده فاعطاهم بيديه ووصل
الى ابي علي فحمل نقل قيده عن رجليه وتبادلت حالاهما في دفعة
من يوم النهار فصار الاسير منهما اميرا والامير اسيرا وكان
ذلك على الله يسيرا وتحمّل ابو علي نحو الجرجانية في احسن دثار
وانعم شعار وحمل ابو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار

واستقبلها مامون بن محمد بقابل ابا علي بالاعظام والاجلال

وعومل ابو عبد الله من ضروب عوادي الاذلال بما يجل عن المقال

والسلح مامون بن محمد عن مجهوده في اكبار ابي علي واجلاله ونشاط

صنوف امواله واقام العطايا العامة رجاله حتى انتظمت احوالهم

واخلّ بهم اختلالهم واحصنت رحالهم وخوّاة ذات يوم

وكان قد اتخذ مجلسا كاملا عمل عليه صنّاع صنعاء تحسينا وتزيينا

وتنضيدا وتنجيدا فاختفى عليه في الشرب احتفا لطف ومسئلة

اذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان فلما اخذت الكوس

ماخذها منهما اقترح احضار خوارزمشاه فاحضر محجل في قيد

ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعبّر به على الاطراق وسمر الارض

بالاحداق وحمله اصغر انه امر به فاذ رميت هامته عن منكبيه

منكبيه فتدحرجت بين يديه الى الارض كسبيكة البيضاء

كل نفعل الله ما يشاء وصفت خوارزمشاه لمامون بن محمد

ورتبت بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه وتابع كتبه

الى الرضى مستشفعا في امر ابي علي وسائلا تدبير امره بما يونس وحشته

ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي بالملتمس بصحيفة المتلمس رضا بما

ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي وامر ابو علي بالمسير

الى خدمة السرير فلاحت له امارات فقد بها ماجده واصلد عليها

زنده فتشخص نحو نجا واسايرا الى رمة هدمه وقد اعتقلت الايام

قلبه عن ذكر معلاته وذلالته لتلقي قدرا منه وردا وليقضي الله

امرا كان مفعولا ولما شارف استقبله الوزير عبد الله بن عزير

والقواد على طبقاتهم مهنئين ومتبركين ومضى فيهم الى السهلة

ونزل بها واخذ يلثم الارض الى ان بلغ السدة فرفع له الحجاب

وساد امامه الحجاب الى ان وصل الى الوصي فاستوفى ادب الخدمة

والبس ذل كفران النعمة واستنزل بعقبه المنكو في كبار اخوته

وقواده حتى اذا نودي بداية الخروج من الدار وعدل بهم الى بعض

الحجر وسلك هو والاخرون في القيود والاصفاد واطلق على الوقوف

بالباب ايدي الاولياء والحشم فعلقوا هم بالسلب والنهب وسلخوهم

من كل ضيق ودرب وختمت حال ابي علي بن سيمجور ذلك اليوم

نظام فيه صورة واستقام صعره ونضج له ثمره واعيا على ورده

صدره كذلك كفران النعم لا يرضى الا بسخط صاحبه والبساط

الزمان عليه بانيابه ومخالبه فرحم الله من قال فلقد احسن المقال

شعر اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه واعجب

واعجب بالعجب فاقاده وتاه به التيه فاستحسنه فدعه فقد

ساءتد بيره سيضحك يوما ويبكي سنة وقد كان الامير سبكتكين

مينخا بمرو فلما بلغه القاع خوارزمشاه بابي علي عدل الى الجرفعي

بها على حملته في الطاعة وادبناه مصلحة الكافة الى ان ورد

ابو علي بخارا واوغر في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب

الرضي عليه بما يهم به ايلك من الاخلاد عن الاعالي وحيازة ما في

ايدي عماله من اعمال تلك النواحي ليساله لحسم اللحوق في وجهه

والعبور لكفاية امره منتحا للصنعة عنده في استحياء دولته واستيفا

ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فتسرحت

الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطية وتصويب فاخذته العزة

بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة النصحاء

الی صریمة العزیمة والرای واقبل علی الاستعداد والاحتشاد

وبث کتبه الی ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجیل الورود وتقدیم

الوقود وتعجیل هوالی العبور قبل تلاحق الجمهور ومضی الی ما بین کش ونسف

نخیم بقریة تدعی نیاری الی ان وصل الیه ولاة الجرجان والختل والصغانیان

وسایر اطراف خراسان وورد علیه الامیر سیف الدولة من نیسابور

فی هیبة دافت العیون وهیبه داعت القلوب ورجال توزن احادهم

بالالاف وافرادهم باضعاف قد ربتهم الحروب فی حجورها وارضعتهم

التجارب من سنطورها فلم یسمع بمعسکر ما وراء النهر جمع من کبار الملوک

واعیان القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلک المناخ وبلغ ایلک

عبورهم للقائه فارسل الی الامیر سبکتکین عدة من شیوخ بابه

ونقات اصحابه یذکرونه انهما اخوان فی ذات الله تعالی لاتفاقهما

٩٣

لاتفاقهما على نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند
بالغزو والانتقام وانتماء الحكم مساعيهما في اظهار دين الله وافلاج حجة الله
الحق بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من يستخلص نيته في مارب
نفسه وشهوات بدنه لا ينتهي مقاما محمودا ولا ينهج حساما مغمودا
وان اجتماعهما على خطبهما اعوذ عليهما من ركوب الخطر واختلاف
الضرر لخط خلص الى غيرهما وانه لا يستحل في دينه ان يعدل بالسيف
عن اعداء الله الى وجهه الا اذا اضطر اليه ابتداء وسامه الذب
عن نفسه اعتداء فليتحرى الامرين راه لنفسه من وفاق
وافتراق وائتلاف واختلاف فهو يسيم سناده وجد وملء عواده
وكتب في آخره قوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين فرجع اليه

ان اعتماد الرضي عليه بناميله حين خذله ابناء دولته وكفره
انشاء نعمته يذمم اليه الاغماض دون حيف يجري عليه وملك
يراد انتزاعه من يديه وان تغرره بجميع ما يحويه على استغراقه
ايام العمر فيه احب اليه من سمة الخذلان واختيار الاساءة
على الاحسان فليقطع طمعه عن ارتجاع ادفليا ذن بحرب يتحطم
فيها الصفاح ويتقصد معها عوالى الرماح وترخص عندها غوالي
المهجات والارواح فلما ايلك حيدة وذاق بلسان الاختيار
ما عنده هوج للاعراض عنه وشد للحرب حيزومه ودعى احياء الترك
بقداح هى فيما بينهم علامات الاستنفار فثار اليه الطم والرم
جيوش تضيق البلق في مجراتها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وكتب
الامير سبكتكين الى الرضى يستعجله اللحاق به بما تقدم من هيبة

هيبة في مناهضة الخصم وفل حده وزحزحته عن صدر الملك

الى ما وراء حده فاشفق ابن عزير على نفسه من حركته للهنات التي

كانت الجائه الى الهرب واللياذ به من حر الطلب وتنصح للرضي

بان الامير سبكتكين وعامة ولاة الاطراف عبر والنهر في احسن

عدة وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد وان المحن التي استمرت بك

قد نقصتك عن جمل منالك ودخلت بزينة الملك عن رجالك

فقبيح بك ان تجاوز من احاله اعلى من حالك ودخالته ثم استظهارا

من فرسان رجالك والراي لك ان تستعفيه عن شهادتك

بنفسك على ان تشير اليه وجوه القواد في جماهير الاجناد من اطراف

البلاد فحمله فيما يراه من محاكمة او مسالمة ومكافحة او مصالحة

ليكون فيصل الامر بيده على الوجه الذي هو حقيق عليه وكتب الرضي

بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزير وافعاله وتمويهه وحباله

وقصده ان يحيط عليه سعيه الذى سعاه فى العبود واستحاثته الجمهود

بتحمل الاثقال والاستنفاق الاموال فسرت الامير سيف الدولة

واخاه بعز الحق فى قرابة عشرين الف رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه

وسير معهما ابا النصر احمد بن محمد بن ابى زيد لتدارك امر الديوان

الذى كان يرسمه فلما احس ابن عزير باقبالهم راى لمت المنون كاشرا

عن نابيه وعقاب العقاب كاسرا جناحيه لانقضاض عليه فابتغى

نفقا فى الارض او سلما فى السماء حتى اذا اعياه ما توخاه فزع

مذعنا الى الاخلاد ولاذ بكنف الاستتار فولى الرضى ابا نصر بن محمد

بن ابى زيد ما كان يليه وهو شهاب الثاقب والنقاب الذى

هذبته للناقب فاقام بكفايته عماده وقوم ميادة وحذف عنه ما كان

٩٥

ماكان قد آده ووصفه ابو الفتح البستى بابيات وفى الصدق بها حفه

وهي شعر فديت ابا النضر المرتجى لتفريع كل ظلام تظل له فلم حده لا ابكل

اذا كان فى الحرب سيف لكل فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل

وكيف يمل وتوفيق من افاد المعقول عليه يمل لجود وحيته بالبديع

عفو الجود الفراح المغل مدق محل واولى الكفاه باعلى الصفات مدق

محل وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه شعر ابلغ منقالى كل عاف

مجندى ومومل فى قصده الى متمندى عرج على الشيخ الجليل المرتجى

وذ الوزارة احمد بن محمد نور اوده ملاء العيون وحبه ملاء القلوب

وسيبه ملاء اليد يقرى امور الملك رايا فيصلا وعزيمة بردى

بكل مهند وبفيض نايله لسبيل ذاعت فبقول سايله عرقت قدى

قدى فاش الرجاء الى عده فانه غوث الردى عنت الصدى

بُد والندى لا زال في يوم أغر مبشر بسعادة غرّاء تطلع في غد ليقيم

كل ما أوّد ويتم كل مستهد وينضمّ كل مبدد وقد كان للامير سبكتكين

قد احسّ بانفاء ابن عزيز ابي علي وحده في النضال عنه لما تقدّره

في الايام من التسلح به عليه فلوّح الرضى بميله الى ما يقع من نقله

الى جنابه فاوجب قبل وصول سيف الدولة اسعافه به وحمل

هو والمنكو في عمارية كانت خاتمة لعمره قاصمة لظهره وامر

الامير سبكتكين بنقله الى جرجان في محمل لو راى من قبل مثله في منامه

لعاف برد الماء على زرقه حمامه واستعفى عن طيب الحيوة باتى اباما

نعم والحذر فيما بين نهوض سيف الدولة الى بخارا ايلك في قبايل

الترك واستانف مسئلة الصلح فاوجب راى الامير ابو منصور

سبكتكين اجابته الى ملتمسه لقعود الرضى عن مشاهدته وفتور

وفتوره من امر نهضته واشترط عليه بان يتزحزح عما دون قطوان
فلا يطلق عليه عنانه ولا يسترح عليه عماله واعوانه على ان يقرّ
سمرقند على فايق ايجابا للشفاعة عنه ورعاية لما سلف في بيت الرضي
من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بمشهد الفقها
والاعيان من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد
الامير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهذا
على الرضي ما كان متموجا من امور الاعمالى واقبل ابو نصر على مهمات
الوزارة واكثرها شغل الاثارة لتقلص الولايات وقصور الارتفاعات
عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من وجوه الاطماع والاقامات
وجعل يزجي فيها يوما بيوم ويعلل دمّا بدم الى ان ثار به بعض
غلمانه فقتلوه وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته

فضاق الرضى ذرعاً بما دهاه لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين

ان له قصداً في امره ودايا في استجارة الحادثة فاظهر الاكتئاب واستعظم

المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وامر باقامة التنكيل

والتمثيل على الفتكة به وانشدني المظفر القومسي له فيه يرثيه

شعر قلوب الناس آلمة سقاما ونفس المجد والهة سقيمة

وما فجعت بك الدنيا ولكن تركت لفقدك الدنيا يتيمة ومنه

لبعض اهل العصر يرثيه شعر لما نوى صدر الوزارة احمد وهوت

نجوم المجد في ملحوده ادريت من فرط المصاب مدامعاً كالغيث

بعد بروقه ورعوده قال العذول وقد راى فرط الجوى والطرف

يمزج دمعه بصديده هون عليك فقلت لولا جاد عني الكبيه

بنعيه جوده ذكر ابي القاسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره

امره بعد تقاعده عنه ولما انحاز ابو القاسم عن اخيه اقام بجرجان الى

ان ورد الامير سبكتكين خاسرا من نيسابور فنهض اليه متقربا بلقائه

وتمهيد حال في موالاته ووسيلة في رعي حقه ورفع قدره وتوفير

اسره وضمن له ما سره وخطب له الى ابي علي ولاية قهستان فاجابه

اليها وامده بالمنشور عليها وجرى الى ذلك خليع عرفته بمنة الطاعة

وكسته بمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن

الجاش ظاهر الرياش انيث الجناح مريع المسرح والمراح الى ان

سنح للامير سبكتكين عبور النهر لتدبر امر الترك فكتب اليه للنهضة

الى مجمع اركان الدولة واعيانها لتضرب معهم بسهم الغناء في كفاية

الامر الحازب ومما نعة الخصم المغالب فحملته تقوى العواقب واساءة

الظن بالنوايب وطراة عهده بجبر اخيه فيما ذرع من لباس الهون

وجُرّع من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلاء ببعض

المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه عند فواته له داءً

عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا فبادر الى نيسابود

مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب

على فعله ودانه فتظاهرا على الاستظهار بجمع المال واثبات اصناف

الرجال وحين سمع الامير سبكتكين خبرهما بادر بالكتاب الى

سيف الدوله بالانحدار الى نيسابود وامده باخيه بغراجق والى هراة

لنفض ما أمر من امرهما وحصد ما نجم من شرهما فسار اليهما ولم يرض

بهما حتى انحط على اثرهما من بلخ كالشهاب في اثر العفاريت فلم

يرع ابا القاسم وابن محمود الا اطلال الجيوش عليهما فاخذه مطايا الحرب

وسارا الى اسفرائن خز القضيب وركب الاميران اكتافهما اشده بهما

لئلا يلمهما شمل النعم حتى لفظهما حدود خراسان الى تخوم جرجان
واستدّ الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير اليهما اخبار فاله
فزاد في وجوههما الانهزام واعجالهما دون المقام وعطف اليه
سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما مجدّدين
العهد وقد كان فخر الدولة على بن بويه قد تقرّب الى الامير سبكتكين
عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبارّ ومال من العتين
واللجين على سبيل النثار اقتناصا لصفائه واستخلاصا لرضاه وحسن
رأيه وموافقته فقابله الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف
وزاده عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسل بها المعروف
بعبد الله الكاتب احد ثقاته فنمى الى فخر الدوله تجسسه عليه
عدد اجناده وغوامض الطرق المفضية الى بلاده فكتب الامير

سبكتكين ليسير الى ان رسول المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمانه

وان فلانا ورده فخالف باطن فعاله ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله

انه لو انا ولعلم ان سرير الملك لم يستقر في سرة الارض الا بتغلب

غلب واسود سود فخر هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال

التي كان خطبها فخر الدولة الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القاسم

الرسول احد وجوه بابه واصحبه مشافهة مشتملة على ذكر الحال

التي يروم عمارتها في موادته وان الرضى متبرع له بالرعاية الوافرة

وبذل الحال سداد المصاهرة لكنه يرى نظام ذلك وتمامه بما يوجبه

من مواصلته وعمارة حاله من ذات صدره وساله ان يثق

بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما تحت يدى ملكه وملكه

وان ينطوى له على مثل ما يبذل له من نفسه ليستحصد المرائر وبنيا كله

ويتأكد الاواخر ويستمر التحالف والتآلف ويرتفع التخالف والتجانف

فاحسن الامير سبكتكين اجابته الى ما طلبه وانكحه من سره

ما خطبه وصفت الحال بينهما عن الشوائب وانتفت عن وجوه المقابح

والمعايب واستأمن ابو القاسم الى فخر الدولة عند الياس من خراسان

فاسند اليه الدامغان وقومس وجرجان وفوض له ولمن اشتملت

جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما لا يدر وسنأتي على نعته

ذكره في موضعه وورد على الامير سبكتكين مونس الخادم رسولا

عن الرضي يستبشره فيمن يرشح للوزارة للحلول مكانها بعد ابي نصر بن

ابي زيد عمن يراعيها ويستقل باعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رأيه

واظهر مظاهرته من مكان معه من وزرائه فاختير ابو المظفر محمد بن

ابراهيم البرغشي لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها فتكفل بالامر كفالة

الذنب الجدب وقام بالتدبير مقام المنفح المتمذ ف الى ان اختطف

الرضى اجله وعمر بنجامه امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك

الى بلخ وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو القاسم بن سيمجور مقيما

بالفايق عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع ما تكشف عسكرا جنبه

ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدوله واكرمه وخلع عليه فضله

وكرمه واصرله بخمسين الف درهم مشاهرة ينفه عليه عمد

ولاد كل شهر واضاف اليه والمبار د الصلات ونحا الحصول ننشله

في جملة اوليائه وحمله ابا ديه ما عراه سوء القضاء ودرك الشقا

بالهرب من مفترش الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية

ومرتقى السلامة والعافية حتى زج بنفسه في فحمة السوء من كورة

نيسابور مطاوعة لهوى له كان ذعم بها واطن ان استناده بطوى

يطوي حيزه ويخفي عينه واثره الى ان تقضى من هواه وطره
فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوالي مستتره فاحترشوه كما احترش
الضب من جحره وعجلوا به الى الحبس من فوره وحمل بعد ذلك
الى معتقل ابيه الى ان نفذ مختوم القضاء فيه فالله من اسر مدّ
اسره وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله ام المومنين ام سلمة حيث
يقول   لو كان معتصما من ذله احد كانت لعائشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتمّ الذي يقضى على الراس وكان
اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدوله فلما عنّ له
عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط فى الاستيثاق منه فالحق
بابي علي وذويه الى ان حاق بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء كك
يفعل الله ما يشاء ولما استقر الامير ابو المنصور سبكتكين ببلخ

منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله تعالى في ابي علي ومن كان
معه في حلق الوثاق واستتبع خبره موت الملوك والعظماء باطراف
خراسان والعراق في هذه الصلة كعوب اباهيا وتناسقت فرائد
نظامها كانهم وكانوا على ميعاد وذلك انه بلا خبره خبر ما كان من
محمد والي الجرجانية في قتل طائفة من اصحابه به في سادته صنعها
صاحب جيشه له واستحالت المادبة منذ به والدعوة مناحة
والغناء عويلا والسرور حزنا طويلا وورد فيه خبر الرضي في مرضه
لم تمتد فيها ايامه حتى الم به حمامه وانتقل الى ترابه مساء شبابه فكانت
وفاته يوم الجمعة لثلث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع
وثمانين وثلثمائة ولقبه كتاب بابه بالرضي فرحمة الله عليه رحمة
تبرد ضريحه وتروح روحه فقد كان طود الملك وزال بزواله

بزواله وزل عن مراسيه بزلزاله وتتابعت المصائب على الامير

سبكتكين بعده في تلك المدة بتبقيه له كانت اعزّ اهله عليه

واولاد صغار وغلمان وداي دهلم جرّالى ان سقط على الفراش

وآليس من الانتعاش فناق الى غزنه اسرّوحا الى طيب هوائها

واستشفاء بنسيم ارضها ومائها فاخذ المقدور عليه بالمرصد واخترمته

بد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العاجب

في امره انه حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في اقبالها

وزوالها فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثلنا ايها الشيخ

في اختطاف المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزّاز الى الضائبة

منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوائمها فلا تزال تقلق لجذاذ العادة

وتضطرب بخوف الابادة الى ان تقضي الجزاز منها وطره فيحل وثاقها

وحبس اطلاقها فيرتاح لما يتاح لها من النجاة وبعيد اليها من

روح الحيوة حتى اذا كانت من قابل عاد الجراد الى عادته فيها فطفقت

لها بين امل وياس ونفرة واستيناس بظن الامر كما عهدت

تارة ويجيئ خلاف العادة اخرى الى ان يقع الفراغ فتظفر وحى

بالنجاة ويعود مرحى فى الشباب فما هو الا الثالثة حتى يسلمها الحراز

الى الحرار فيمر الشفرة على ودجيها اوثق ما كانت بها العادة واابعدها

من المخافة وآمنها من الآفة كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الامراض

وينتمرينا من الاوصاب بنبا حسن الظن بما يطرق منها اذ فات

الواعية وسارت بها الناعية وكان بين هذا الفضيل وبين ان

قضى نحبه قدر عقار النحل ايام اسوء فقضينا العجب بعده لما املاه

المقدور فى شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار

الدار المعروفة لسهلان باذ وانفق عليها مالا عظيما فلم تمتع بسكناها

حتى خذله الرجاء وحق عليه القضاء وتحقق له الانقضاء واعنا فيها

ولده من بعده فاهملوا امرها فداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل

ينشد وقد اجتاز عليها بعده وبيده بسبحة عليك سلام الله

من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما اندرى عهدتك

بدشهر جديدا ولم اخل صرف الردى تبلى معانيك فى شهر فلحى الله

دنيا من صنيعة تاكل اولادها عقوقا وحانية لا تدعى لا صيافها

ادمة ولا حقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب الحدثان

ورثاه ابو الفتح البستى كاتبه بقوله قلت اذ مات ناصر الدين

والدولة حياه ربه بالكرامة وتداعت جموعه بافتراق هكذى

هكذى تقوم القيامة وقوله توكل على الله ملجاوله واتخذه

وكيلا ولا تجد عنك شرب صفا فانمى قليلا واودى عليلا

فان الزمان بذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا الم تر ناصر دين الاله

وكان المهيب العظيم الجليلا اعد الفتول وقاد الخيول وصير كل عزيز

ذليلا وحقه الملوك به خاضعين ونزتوا اليه رعيلا رعيلا فلما

تمكن من امره وصار له الشرق الا قليلا واوهمه الغرار الزمان

اذا رامه ارتد عنه كليلا اتته المنية مغتاظة وسلت عليه

حساما صقيلا فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد فيل عليه قبيلا

كذا يفعل بالشامتين ويفنى هم الدهر جيلا فجيلا ولبعض كتاب

اهل العصر فيه مضى الامير نصير الدين متشحا في قبره بمساع

اشبهت علما قد كان مذ كان ما قد عاش منتصفا لله والدين والاسلام

منتقما كالغيث والليث طبعا ان همى وحمى والبحر والنجم والنجم سكنا

شكلا ان سما ودما لئن اناخ صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك

والاسلام لاخرها يا من اسال رقاب الكاسحين دما من بعد فقدك

انكبت العيون دما فالدين منثلم والملك منهدم وظل جبل العلى

والمجد منفصما وردف الحادثة البغى بفخر الدولة على بن بويه وكانت

وفاتهما فى شعبان سنه سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب

انقراضه انه قوع القلعة التى استجدثها على جبل طبرك مرتاحا

للانس فاشتهى طرايح من لحم البقر فنحرت بين يديه واحدة فطفق

اصحابه يضبطون له من اطايبها وهو ينال منها واتبعها بعينا قيد

الكرم ودادت عليه الكوس بينها ملاء ولاء فلم يلبث ان لوى عليه

جوفه واتصل على الالم صوته الى ان حتم عليه موته ورثاه ابو الفرج

الساوى هى الدنيا تقول بملاء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى

ولا يغرنكم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي الفخر الدولة

اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلاك وقد كان استطال

على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك فلو شمس الضحى جاءته يوما

لقال لها عتوا اف منك ولو زهر النجوم اتت رضاه تأبى ان تقول رضيت

عنك فامسى بعد ما فرغ البرايا اسير القبر في ضيق وضنك

أفكر انه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك وعي بالنفس

فكرك في ملوك مضوا بل لا تفتر اصنك وبك فابكي فذا نعوهلاك

الليت شيئا عن الظبي السلب قميص مسك هي الدنيا اشبهها

بشهد وسم وجيفة طليت بمسك هي الدنيا كمثل الطفل بينا

بقهقهة اذ بكى من بعد ضحك الايا قومنا نتبهوا فانا لخاسيء في القيمة

غير شك فاما مامون بن محمد فان ابيه علما ولي الامر من بعده

من بعده وتسارع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى ريعانه

وروعته واما الرضي فقد كان عهد بملكه الى ابنه الامير ابي الحارث

نوح بن منصور فلما استقر به ومضى لسبيله تناصر على بيعته الاوليا

والحشم وفرّق بقايا الاموال وخبايا الذخاير والاعلاق في اعطياتهم

وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت امور الجماعة واتسقت الكلمة

في الطاعة وبقي ابو المظفر محمد بن ابراهيم على الوزارة واما الامير

سبكتكين فقد كان عهد الى ولده اسماعيل واستخلفه على اعماله

واوصى اليه بامور اولاده وعياله وجميع وجوه حجابه وقواده

على طاعته ومتابعته والقضايا بالبته وولايته فلما طرق الناعي

به تبادروا الى عقد البيعة له وامضاء الوصية فيه واستقر

اسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير الامارة وامر بفض الختوم

عن يد الخزانة وصب الاموال حتى رضى الرجال واما فخر الدوله

فان عسكر الديلم احتمعوا على ولده الامير مجد الدولة ابى طالب

رستم بن على ففوضوا الامر اليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبوه

السلطان بمجد الدوله كهف الملة وسياتى بيان حال كل واحد

منهم في مواضعه على الاثر انشاء الله تعالى وانشدني ابو منصور

الثعالبى لنفسه فى عجايب هذه السنة وتبدل احوالها وتعالى

امرائها قصيدة منها هذه الابيات الم تر مذ عامان املاك

عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صايح فنوح بن منصور حوته

يدى الردى على حسرات ضمنتها الجوايح وبابوس منصور فى يوم

سرخس تمزق عنه سلكه فهو طائح وفرق عنه الشمل بالسمل

فاغتدى اسيرا ضريرا تبتكيه النوايح فصاحب مصر قد مضى لسبيله